المبحث الثامن

موجز تاريخ بني إسرائيل

إسرائيل هو يعقوب عليه السلام[١]، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين مرة في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران :٩٣] .

ومرة أخرى في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم :٥٨] .

وإسرائيل «يعقوب» عليه الصلاة والسلام هو حفيد سيدنا إبراهيم فهو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

وقد نشأ يعقوب وعاش في أرض الكنعانيين بالشام[٢]، أرض فلسطين الآن.. وقد رزق من الأبناء اثنى عشر ولدًا.. من هؤلاء الاثنى عشر: يوسف عليه الصلاة والسلام، وقد ذكره الله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري (١/ ٤٤٥).

(٢) الكنعانيون: نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح، وقد افترى اليهود وكتبة الأسفار على نوح عليه السلام حيث اتهموه بأنه شرب الخمر وسكر وتعرى فأخذ ولداه سام ويافث الرداء وسترا أباهما أما حام بن نوح فلم يستر والده فقام نوح بلعنه وطرده. هكذا افتروا على نبي كريم من أنبياء الله تعالى. وبالتالي حرموا كنعان من ميراث أبيه الديني والدنيوي بناء على طرد نوح له. وورث أبناؤه هذا الخطأ على زعمهم. انظر سفر التكوين ٩: ٢١ - ٢٧.

هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر :٣٤] .

وفي هذا دلالة على أن يوسف عليه الصلاة والسلام أرسله الله تعالى إلى المصريين ونادى بالتوحيد في مصر قبل موسى عليه الصلاة والسلام.

ويقول تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۖ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام :٨٤] وقد وردت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام مفصلة في سورة باسمه في القرآن الكريم.

أما إخوته ونسلهم فهم أصل الأسباط[1] الإسرائيليين المذكورين في القرآن الكريم، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.. يقول تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ [الأعراف :١٦٨] وقد كان من أمر إخوة يوسف ما قصه القرآن الكريم في سورة يوسف من كيد إخوته له وإلقائه في الجب ثم خروجه وبيعه في مصر، ثم دخوله قصر العزيز ثم مراودة امرأة العزيز له عن نفسه واستعصام يوسف وبراءته من قبل الله تعالى ثم من قبل الشاهد، وبعد ذلك كيد امرأة العزيز له مرة أخرى هي والنسوة معها ثم استعصامه منهن مرة أخرى، ونجاة الله له منهن، ثم دخوله السجن على يد امرأة العزيز، ثم تفسيره لرؤيا الملك وتبرئة امرأة العزيز والنسوة ليوسف، ثم جعله على خزائن الأرض ومجيء إخوته لأخذ الزاد من مصر، ثم أخذه لأخيه، ثم رجوعهم مرة أخرى وإخبارهم بأن الذى يحدثهم إنما هو يوسف الذى وضعوه في غيابة الجب، وأخيرًا إرساله إلى أبيه وأمه ودخولهم مصر.. يقول سبحانه ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٣١٥).

رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف :٩٩-١٠٠] .

ونظرًا لمكانة يوسف عليه السلام عند ملك مصر التي كانت تحكم من قبل «الهكسوس»[١] الذين كانوا من «الساميين» الرعاة وقد أغاروا على مصر، وملكوها. وكان المصريون يكرهونهم نظرًا لكونهم من المحتلين من جهة، ومن جهة أخرى لأنهم ليسوا من جنسهم.

وقد أنزل «الهكسوس» إخوة يوسف منطقة جيدة التربة خصبة الإنتاج، وقد عملوا بالزراعة فيها.

ولكن ما لبثت الكراهية والبغض أن دبت بين بني إسرائيل وبين شعب مصر خاصة بعد وفاة يوسف عليه الصلاة والسلام لعدة أمور منها[٢]:

(أ) أن بني إسرائيل كانوا يعملون كجواسيس على المصريين لدى «الهكسوس» ولعل ترحيب الهكسوس ببني إسرائيل كان من أجل معاونتهم لهم ضد الشعب المصري، فكلاهما غرباء.

(ب) أن بني إسرائيل كرهوا المصريين؛ نظرًا لأن بني إسرائيل كانوا على دين التوحيد دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.. بينما كان المصريون يعبدون الأصنام والحيوانات وغيرها من المعبودات الوثنية.

(ج) من أسباب كراهية المصريين لبني إسرائيل أن الإسرائيليين اعتزلوا الشعب المصري واجتنبوه، وتلك صفة لازمة لبني إسرائيل ومع هذه العزلة اشتغلوا بالتجارة واستصلاح الأراضي وجمع المال بشراهة الأمر الذى ترتب عليه أن المال أصبح بأيديهم، ومن ثم بدءوا بتسخير المصريين في العمل عندهم كأجراء في كافة الأنشطة الزراعية والتجارية والصناعية إذ إن بني إسرائيل اشتغلوا في مصر بتجارة الذهب والفضة وصناعتهما وصاروا من أغنياء

---

(١) انظر اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٢٣٠).

(٢) راجع للأهمية اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٢٣٢) للأستاذ الدكتور فتحي الزغبي وهي رسالته للدكتوراه ـ نشر دار البشير الطبعة الأولي ١٩٩٤م.

مصر وأثروا ثراءً كبيرًا.

المصريون وانتصارهم على الهكسوس:

كما هي سنة الله في خلقه «**وتلك الأيام نداولها بين الناس**» اجتمع المصريون حول قيادتهم وتمكنوا من طرد الهكسوس من أرضهم، وصار الحكام على مصر وملوكها من المصريين أنفسهم ونظرًا لأن بني إسرائيل كانوا مع المحتلين ضد المصريين، فإن «**الفرعون**»[١] الذي ملك مصر أخذ ينتقم من الإسرائيليين ويسومهم سوء العذاب وسحب منهم الامتيازات التي كانت لهم. وصار بنو إسرائيل يعملون بالسخرة عند المصريين. وخوفًا من قيام بني إسرائيل بالثورة ضد المصريين فإن أحد الفراعنة أوعز إلى القابلات إذا ولدت العبرانيات أن يقتلن الذكور من المواليد.

ورد في سفر الخروج «**وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما شفرة واسم الأخرى فوعة . وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي إن كان ابنًا فاقتلاه وإن كان بنتًا فتحيا، ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الأولاد . فقالت القابلتان لفرعون إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة فأحسن الله إلى القابلتين ونما الشعب وكثر جدًا**»[٢].

ولكن يبدو أن هذه الحيلة لم تؤت ثمارها فإذا بالفرعون يأمر بذبح الأولاد واستحياء النساء، وفي هذا يمتن الله عز وجل على بني إسرائيل بأن نجاهم من فرعون وملئه.. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة :٤٩] .

---

(١) انظر سفر الخروج الإصحاح الأول ٦ - ١١.

(٢) نفس السفر الإصحاح الأول ١٥ - ٢١.

مولد موسى عليه الصلاة والسلام وبعثته وخروج بني إسرائيل معه:

إذا أراد الله أمرًا فإنما يقول له كن فيكون. في أثناء هذا الاضطهاد والعذاب الذى نزل ببني إسرائيل من فرعون وملئه، أراد الله أن يولد موسى عليه الصلاة والسلام ليكون إنقاذ بني إسرائيل على يديه، وقصة ولادته ونجاته من فرعون وإلقائه في اليم وتربيته في قصر فرعون من آيات الله ومن عجائب قدرته وتصريفه للأمور(١).

وبعد أن شب موسى عليه الصلاة والسلام وترعرع، وكان العداء مستحكمًا بين المصريين وبين بني إسرائيل، إذا بموسى عليه الصلاة والسلام يستغيث به أحد الإسرائيليين من شيعته على أحد المصريين فوكزه موسى فقضى عليه، ثم ندم وتاب على ما فعل. وانتشر خبره في المدينة وصارت السلطات تلاحقه، فنصحه ناصح بأن يخرج من مصر نظرًا لأن الملأ يأتمرون لقتله. فخرج معتمدًا على الله إلى أرض مدين، وهناك سقى لامرأتين بعد أن رأى ضعفهما وحياءهما وانتهى به الأمر أن تزوج إحداهما(٢).

ومكث موسى في أرض مدين عشر سنوات ثم أخذ أهله وهم بالرجوع إلى مصر وفي أثناء سيره ضل الطريق، وفي الليل رأى نارًا فقال لأهله إني آنست نارًا لعلى أتيكم منها بقبس أو أجد أحدًا يستدفئ بتلك النار أسأله أن يدلني على الطريق. فلما جاءها أوحى الله إليه بالرسالة وأراه معجزة العصا، وطلب منه سبحانه أن يذهب إلى فرعون يدعوه إلى التوحيد، وبالفعل بلغ موسى رسالة ربه إلى فرعون وأظهر له موسى المعجزات التي تبين صدقه ولكن فرعون أبى واستكبر واشتط في العناد حتى ادعى الألوهية والربوبية، وسخر من

(١) وردت قصة موسى وولادته ورعاية الله له في سورة طه وسورة الشعراء وسورة القصص. فلتراجع هذه القصة ففيها من العظات والعبر ما نحن في أمس الحاجة إليها الآن.

(٢) تراجع القصة في سورة القصص.

موسى ومن معه وتوعدهم بالعذاب الأليم خاصة بعد أن آمن السحرة بالله رب العالمين وصدقوا موسى في رسالته..

ولما وصل الأمر بين موسى وفرعون إلى طريق مسدود طلب موسى وهارون من فرعون أن يرسل معهما بني إسرائيل ولكن فرعون يأبى ويستمر في إضطهاده لهم وتستخبرهم . فأوحى الله على موسى أن يخرج ليلاً ومن معه من بنى إسرائيل. وبالفعل خرج موسى ومن معه، ولكن فرعون يتبعهم، ولم يكن أمام موسى وقومه إلا البحر، فيوحي الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه فينفلق البحر، ويعبر موسى ومن معه، ولإنفاذ قدر الله يتبعهم فرعون وقومه فإذا بالله يغرق فرعون ومن معه ويسجل القرآن الكريم هذا المشهد بقوله ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس :٩٠-٩٢] .

ويقدر البعض المدة التي قضاها الإسرائيليون في مصر منذ دخولهم في عهد يوسف عليه الصلاة والسلام إلى أن خرجوا منها مع موسى وهارون عليهما السلام حوالي ثلاثمائة سنة أو تزيد قليلاً [١].

بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر

بعد أن نجي الله موسى ومن معه من فرعون وملئه، ونجاهم كذلك من الغرق بدأت النفوس التي استمرأت الذل والعبودية والتي تأثرت بما عليه

(١) انظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٠٣) لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عوض الله جاد حجازي، قارن هذه المدة بما ذكره سفر التكوين ١٥ ـ ١٣.

المصريون من وثنية بدأت هذه النفوس تخرج أسوأ ما فيها.. فبعد أن نجاهم الله من الغرق، بدءوا يقولون لموسى وقد مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقولون له اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة.

يقول الله مصورًا مقالتهم وسفاهة عقولهم ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف :١٣٨-١٤٠] .

طلبهم الطعام الأرضي

إن بني إسرائيل منذ خروجهم من مصر «وهم في سلسلة متعددة من التذمرات وأشكال متنوعة من الاحتجاجات وقد تمادوا في تمردهم وعصيانهم على موسى وهارون. ومن صور تمردهم: ما حكاه القرآن عنهم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة :٦١] .

قالوا هذا بعد أن من الله عليهم برزق من عنده لا يبذلون في تحصيله جهدًا وهو المن والسلوى.. يقول سبحانه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف :١٦٠] .

يقول الرازي: «**لما ذكر تعالى أنه كان يسقيهم، ذكر ثانيًا أنه ظلل الغمام عليهم وثالثًا أنه أنزل عليهم المن والسلوى، ولا شك أن مجموع هذه الأحوال نعمة عظيمة من الله تعالى لأنه سبحانه سهل عليهم الطعام والشراب على أحسن الوجوه ودفع عنهم الشمس**»(١).

ولنقرأ ما ورد في سفر العدد عن تمردهم على الطعام واعتراضهم على المن والسلوى «**فعاد بنو إسرائيل أيضًا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحمًا قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله في مصر مجانًا، والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن**»(٢).

الأمر لهم بدخول الأرض المقدسة وامتناعهم

أراد الله جل وعلا أن يدخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة التي كتب الله لهم وهي أرض الميعاد أراد الله منهم أن يدخلوا تلك الأرض المباركة. واختار موسى عليه الصلاة والسلام من قومه اثني عشر رجلاً على عدد الأسباط وطلب منهم أن يستطلعوا هذه الأرض ويستكشفوا أهلها، فإذا بهم يقولون إن فيها قومًا جبارين واشترطوا لدخولها أن يخرج أهلها منها ولكن اثنين من الذين أنعم الله عليهما وهما «يوشع بن نون»، وكالب بن يوفنا «**قالا لقومهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، ولكن بني إسرائيل مرة أخرى يصممون على عدم دخولها ويطلبون من موسى أن يتركهم ويذهب هو وربه للقتال، أما هم فقاعدون ينتظرون النتيجة، فدعا عليهم موسى فاستجاب الله له وحمها عليهم.**

يقول سبحانه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيَّ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة :٢٥-٢٦] .

---

(١) الرازي (٨/ ٣٦).

(٢) سفر العدد ١١: ٦ - ٧.

يقول المفسرون: إن الله عاقب الذين امتنعوا عن دخول الأرض المقدسة بأمرين:

الأول: أنه حرم عليهم دخول هذه الأرض أبدًا، والذين دخلوها بعد ذلك هم أولادهم أما هم فإن الله حرمها عليهم.

الثاني: أن الله عاقبهم بالتيه في الأرض لمدة أربعين عامًا.

يقول الألوسي: «**وكانت مسافة الأرض التي تاهوا فيها ثلاثين فرسخًا في عرض تسعة فراسخ كما قال مقاتل. وقيل: اثني عشر فرسخًا في عرض ستة فراسخ، وقيل: ستة في عرض تسعة، وقيل: كان طولها ثلاثين ميلًا في عرض ستة فراسخ وهي ما بين مصر والشام. وذكر أنهم كانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون فيصبحون حيث يمسون، ويمسون حيث يصبحون كما قاله الحسن**»[(١)].

ولنا أن نتصور مدى الضنك الذى عوقبوا به حين يتحرك هذا العدد في تلك المسافة على غير هدى ولا رشاد جزاء وفاقًا على جبنهم ومعصيتهم لله ورسله.

وفي أثناء هذه المدة مات موسى عليه الصلاة والسلام ومات هارون من بعده..

وقد تولى «**يوشع بن نون**» قيادة بني إسرائيل وقد فتح الله على يديه الأرض المقدسة ولم يكن معه أحد من الذين طلب إليهم أن يدخلوها على عهد موسى وهارون لأنهم قد ماتوا جميعًا.

وقد أورد البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع المرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها ولا آخر اشترى غنمًا أو خلفات، وهو**

(١) روح المعاني للألوسي (٤/ ١٦١).

ينتظر ولادها. فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولًا فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»[١].

يقول ابن حجر: «وهذا النبي هو يوشع بن نون، وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»[٢].

حال اليهود بعد دخولهم الأرض المقدسة

بعد أن من الله على (ريوشع بن نون» ودخل هو والذين آمنوا معه أرض فلسطين، قسم الأرض التي فتحها بين الأسباط الاثنى عشره، ثم مات بعد ذلك.

ونستطيع أن نضع أيدينا على ثلاث مراحل فاصلة لدى بني إسرائيل:

أولًا: عهد القضاة.

ثانيًا: عهد الملوك.

ثالثًا: عهد الانقسام وزوال ملك اليهود[٣].

وسوف نتحدث عن هذه العهود الثلاثة بإيجاز حتى يتبين لنا مدى نقض اليهود لعهودهم مع الله، ومدى عصيانهم لأنبيائهم.

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري (٦/ ٢٥٤) كتاب فرض الخمس.
(٢) فتح الباري (٦/ ٢٥٥).
(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٥).

عهد القضاة (١١٣٠ . ١٠٣٠ ق. م)[١]:

بعد موت «يوشع» انقطعت القيادة الجماعية لليهود وتفرق الأسباط، ودخلوا مع الكنعانيين والفلسطينيين وزالت دولتهم وإن بقيت لهم قرى صغيرة يرأسها قاض أصله كاهن، يذكر «ديورانت» أنه لم تتألف من الغزاة في يوم من الأيام أمة واحدة متماسكة بل ظلوا زمنًا طويلاً يؤلفون اثني عشر سبطًا مستقلين استقلالاً واسعًا أو ضيقًا، نظامهم وحكمهم لا يقومان على أساس الدولة بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شئون القبيلة، وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى إذ ألجأتهم إلى هذا التعاون الظروف القاهرة التي لا مفر من التعاون فيها»[٢].

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن عهد القضاة يعتبر بحق هو عصر التفكك الكامل والفوضى الشاملة على مدار تاريخهم القديم[٣].

ورد في سفر القضاة عن تلك الأيام أنه **«لم يكن لبني إسرائيل ملك وكان كل إنسان يعمل ما حسن في عينيه»**[٤].

ومما ساعد على الانحلال والتفكك أن القضاة الذين يحكمونهم بمجرد موتهم، يرجع اليهود إلى الفساد والإفساد أكثر من آبائهم بل وكانوا يشركون مع الله غيره.. ورد في سفر القضاة: **«وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها لم يكفوا عن أفعالهم وطريقتهم القاسية»**[٥].

---

(١) نفسه ص (١١٥).
(٢) قصة الحضارة: وول ديورانت (٢/ ٣٢٩).
(٣) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٢٤١)
(٤) سفر القضاة ٢١ ـ ٢٥.
(٥) نفسه ٢ ـ ٢٠.

ومن أجل قساوة قلوبهم وعدم حفظهم العهد لذلك «**حمى غضب الرب على إسرائيل وقال من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذى أوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتي فأنا أيضًا لا أعود أطرد إنسانًا من أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته**»[١].

والشيء الذى نخرج منه بعد عرضنا لتلك النصوص أن أسفارهم تذكر استمرار سكان فلسطين في تسلطهم على اليهود.. وسواء كان هذا بأمر الرب كما تذكر النصوص أم أنه نتيجة ضعفهم واستسلامهم لهذه الشعوب فإن ما يهمنا هو خضوع الإسرائيليين لشعوب فلسطين ووقوعهم تحت قبضتهم في سلسلة متواصلة من الاضطهاد والاستذلال في عصر القضاة[٢] الذى تراوح بين (١٠٠ - ١٤٠ سنة)[٣].

عهد الملوك ويمتد من (١٠٣٠ . ٩٠٥ ق. م)[٤]:

مر بنا كيف كان عهد القضاة من ناحية التفكك والانحلال والفوضى وتمكن الأعداء منهم. كل هذه الأمور جعلتهم يفكرون في لم الشمل والخضوع تحت ملك واحد يخضعون لأمره ويقودهم لمحاربة أعدائهم الذين سلبوهم أموالهم وأخرجوهم من ديارهم، ومن ثم ذهبوا إلى نبي لهم يقال إنه «**شموائيل**» وطلبوا منه أن يقيم عليهم ملكًا بدلاً من القاضى وينصبه ويملكه عليهم فينطووا تحت لوائه، ويسيروا تحت إمرته لمحاربة أعدائهم المحيطين بهم»[٥].

وقد قص علينا القرآن الكريم هذا في سورة البقرة وفيما ذكره الله جل وعلا

---

(١) القضاة ٢ - ٢٢.

(٢) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٢٤٢).

(٣) انظر اليهود واليهودية ص (٤٢)، وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٥).

(٤) وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٧)، واليهود واليهودية ص (٤٢).

(٥) انظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٧)، وانظر صموئيل الأول ١- ٥، ١٩، ٢٠، وانظر اليهود واليهودية ص (٤٣).

بيان للجبن والخور، وعصيان الأوامر، والاعتراض على اختيار الله.. يقول سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة :٢٤٦] .

وبعد أن دخلوا في جملة اعتراضات على تعيين «طالوت» ملكًا عليهم وجعل علامة لهم على كونه من اختيار الله بعد ذلك إذا هم يعصون أمره حين طلب منهم أن يأتمروا بأمره على نحو ما ذكره القرآن الكريم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة :٢٤٩-٢٥٢][1].

والآيات تخبر أن الله مكن لداود عليه الصلاة والسلام من جالوت، ومن الله على داود بالنبوة والملك.. وقد غزا داود عليه الصلاة والسلام مدينة

(١) يراجع تفسير هذه الآيات في تفسير القرطبي من القدامى وظلال القرآن من المحدثين للأهمية.

القدس سنة ١٠٠٠ ق. م وبقيت المدينة بين سكانها الأصليين، ولم يعمل داود عليه الصلاة والسلام على ترحيل سكانها الأصليين أو تجريدهم من أملاكهم فقد سمح للفلسطينيين بالبقاء في مدينتهم»[١].

وهذا يتناسب مع التعاليم التي جاء بها الأنبياء ومن بينهم «داود» وللقارئ أن يقارن بين ما فعله داود عليه الصلاة والسلام وبين ما يفعله إخوان القردة والخنازير من اليهود الآن بإخواننا الفلسطينيين بل وبكل العرب والمسلمين ليوقن أن هؤلاء اليهود لا يمتون بصلة لا دينًا ولا نسبًا ولا خلقًا لهؤلاء الأنبياء الكرام.

وبعد داود، جاء ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام، الذى سأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده وقد أعطاه الله إياه ومن هذا الملك: تسخير الرياح والشياطين، كما أخبر بذلك القرآن الكريم[٢].

وفي أثناء حكم «سليمان» عليه الصلاة والسلام ساد البلاد السلام ونعم الإسرائيليون لأول مرة بالأمن والأمان، وقد استمرت المملكة التي أنشأها وحكمها داود وسليمان مدة ثلاثة وسبعين عامًا، ولقد كان هذان النبيان الكريمان من أعظم وأكرم أنبياء بني إسرائيل وملوكهم في نفس الوقت ومع ذلك فقد أبى طبع اليهود السيئ ونفوسهم الخبيثة إلا أن يرموا هذين النبيين ويصفوهما بأشنع الأوصاف وأقبح الجرائم[٣].

عهد الانقسام والتفكك والزوال:

بعد العصر الذهبي الذي عاشه اليهود في كنف ملك سيدنا داود وسليمان لم يبق الحال على ما هو عليه، إذ بعد وفاة سليمان عليه الصلاة والسلام دب

---

(١) هنري كاش: القدس ص (٤٤) نقلاً عن اليهود واليهودية ص (٤٣).

(٢) تراجع قصة سليمان عليه السلام في سورة الأنبياء وسورة النمل وسورة سبأ وسورة ص.

(٣) انظر اليهود واليهودية ص (٤٤) ومقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٨)، وانظر النبوة والأنبياء عند اليهود في هذا البحث.

النزاع بين أولاده على السلطة الأمر الذي ترتب عليه انقسام الدولة، وتفكك المملكة، الأمر الذى جعل الأمم من حولهم يشكلون خطرًا كبيرًا عليهم ولعل أصدق تعبير عن حالهم ما ذكره «ويلز» بقوله «**لقد ظلت حياة العبرانيين طوال ثلاثة قرون شبيهة بحياة رجل أصر على العيش وسط سوق صاخب فكان مصيره أن تدهمه سيارات الجمهور والبضائع**»[(١)].

وهذا التعبير وإن كان حديثًا إلا أنه يصف حالتهم التي صاروا إليها أحسن وصف، وترتب على هذا التفكك أن انشقت أسباط العبرانيين الشمالية عن الأسباط الجنوبية وتألفت مملكتان لليهود:

الأولى: مملكة «**إسرائيل**» وعاصمتها «**السامرة**» في نابلس في الشمال.

الثانية: مملكة «**يهوذا**» وعاصمتها «**أورشليم**»[(٢)]، وهذه كانت في الجنوب وأول ملوكها كان «**رحبعام**» وقد تعاقب عليها من بعده عشرون ملكًا.

وكانت العلاقة بين هاتين الدولتين علاقة حروب ومنازعات، وكانت كل منهما تستعين بدولة أو بدول أخرى لتقضى على جارتها، ونتيجة لهذا فقد انتشرت المفاسد في الدولتين انتشارًا كبيرًا وعمتهما الفتن الداخلية[(٣)].

أما علاقة هاتين الدولتين مع جيرانهما من الدول فنلخصه في الآتي:

١- في عهد رحبعام، ويربعام غزا «**شيسنق**» فرعون مصر فلسطين وصعد على أورشليم ونهبها.

٢- في سنة ٧٤٠ ق. م غزا ملك آشور دولة إسرائيل الأمر الذى جعل ملكها يعطي لملك آشور ألف وزنة من الفضة ليترك الملك في يده.

٣- في سنة ٧٢٧ ق. م تولى «**شلمناصر الثالث**» فتمردت عليه إسرائيل

(١) انظر: معالم تاريخ الإنسانية (٢/ ٢٩٦).

(٢) انظر هيكل سليمان الوطن القومي لليهود ص (٩٤) يوسف الحاج بدون ناشر.

(٣) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ص (٤٢ - ٤٣) لفضيلة الإمام الأكبر/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.

فزحف عليها ولكنه صولح بكثير من الهدايا، فرجع عنها، إلا أنه عاد إليهم مرة أخرى وضرب الحصار حول السامرة.

٤- في سنة ٧٢١ ق. م قام «**سرجون الثاني**» بغزو دولة إسرائيل وحاصرها وانتهى الأمر بزوال دولة إسرائيل وسبى «**سرجون**» الأسباط وأجلاهم إلى ما وراء الفرات، ولم تقم لدولة إسرائيل بعدها قائمة.

٥- وفي سنة ٦٠٦ ق. م قام «**بختنصر البابلي**» بالإغارة على أورشليم فنهبها وأجلى كثيرًا من أهلها وأقام ملكًا من اليهود «**صدقيا بن يواقيم**» ولكن صدقيا نقض العهد فثار على بختنصر فإذا به يعود إلى أورشليم، ويسبي أهلها إلى بابل فيما عرف بالسبي البابلي[١].

وهكذا قضى على مملكة يهوذا في الجنوب ومملكة إسرائيل في الشمال، ومنذ ذلك التاريخ لم تقم لليهود دولة في فلسطين حتى بعد عودتهم على يد «**قورش**» الفارسي فإنه عندما عادوا إلى فلسطين عادوا إليها كجماعة ولم يعودوا كدولة..

يذكر الدكتور أحمد شلبي أنه «**لم تقبل العودة إلى فلسطين إلا قلة بدأت حياتها بعد سنتين من مجيء «قورش»** وفي بيت المقدس أعاد هؤلاء بناء الهيكل بتصريح من «**قورش**» وكانت عودة اليهود من المنفى عودة الأمة وليست عودة الدولة فإن بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تعد فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له»[٢].

واستمروا على حالة الضعف والهوان هذه فترة إلى أن توهموا القوة فثاروا على الدولة الرومانية التي أذاقتهم كل أصناف العذاب والقتل.

يقول «**ديورانت**»(**ولما استولى «تيتس»** على نصف المدينة أورشليم عرض على

(١) راجع بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ص (٤٤ - ٤٦) بتصرف، الناشر الزهراء للإعلام العربي.
(٢) اليهودية ص (٩٣) للدكتور أحمد شلبي.

الثوار شروطًا ظنها لينة فلما رفضوها أضرمت فرق الحراقين الرومان النار في الهيكل فلم يلبث هذا الصرح العظيم، - وكان معظمه مشيدًا من الخشب- أن احترق بأكمله، ويقدر «يوسنوس» عدد من هلك من اليهود في هذا الحصار وما أعقبه من حوادث بمليون ومائة وسبعة وتسعين ألفًا سنة ٧٠م، وإن تدمير الهيكل في واقع الأمر نهاية الفتنة ونهاية الدولة اليهودية، وصودرت أملاك الذين اشتركوا فيها وبيعت. ولسنا نعرف شعبًا آخر قد طال نفيه كما طال نفي اليهود أو عانى من الأهوال مثلما عانوا. لقد حرم عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة، وأرغموا على تسليمها للوثنية ثم للمسيحية، وشردوا في كل ولاية من ولايات الدولة الرومانية وإلى ما وراء حدود تلك الدولة»[١].

وكل الذى حدث لهم جزاءً وفاقًا على مكرهم وخروجهم على تعاليم الله وأنبيائه.. لقد انتهى تاريخهم كأمة ودولة وتفرقوا في جميع البلاد، وكانوا لا يذكرون إلا من خلال البلاد التي عاشوا فيها.

الفتح الإسلامي للقدس:

معلوم أن المسلمين فتحوا القدس في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يتسلمها عمر من اليهود وإنما تسلمها من بطريرك النصارى «**صفرو نيوس**» ودخل أهل فلسطين بخاصة والشام بعامة في الإسلام مختارين وطويت صفحة من صفحات الشرك والوثنية على أرض فلسطين المباركة واتجه الخلفاء إلى عمارتها وتحصينها والاهتمام بها لكونها أرضًا مباركة تضم المسجد الأقصى، وكانت هذه الأرض المباركة مقبرة الصليبيين، الذين جاءوا من أوربا قاصدين الاستيلاء على بيت المقدس، ولكن الله هيأ للمسلمين قيادة راشدة تمثلت في عماد الدين زنكي، ثم صلاح الدين الأيوبي الذى جمع الله المسلمين حوله وهزم الصليبيين شر هزيمة.

---

(١) قصة الحضارة: المجلد السادس ص (١٨٨، ١٩٦).

محاولات اليهود للعودة إلى فلسطين في العصر الحديث:

ولم يسمع أحد عن اليهود ولا مزاعمهم إلا في العصر الحديث حين عقد اليهود مؤتمرًا في مدينة «بال» بسويسرا سنة ١٨٩٧م بزعامة «هرتزل» الذى أعطيت له صلاحيات واسعة في تنفيذ قرار المؤتمرين باتخاذ فلسطين وطنًا قوميًا لليهود.

وقد بذل «هرتزل» محاولات كثيرة للقاء «السلطان عبد الحميد» عن طريق زعماء أوربا آنذاك، وقد توسط إمبراطور ألمانيا لدى السلطان لمقابلة هرتزل وتمت المقابلة ودار الحوار على هذا النحو:

هرتزل: مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان، لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء.

عبيدكم المخلصون يقبلون التراب الذى تدوسونه، ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة، ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية، وتسديد ديون تركيا.

وكان رد السلطان «**إن أرض وطننا لا تباع بالدراهم، إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر مما بذلوا من دماء في سبيلها**»(١).

ولم يكف زعيم الصهيونية عن إلحاحه على السلطان فقد تكررت مقابلة بعد ذلك فقد جاء ثلاث مرات مرة في يونية سنة ١٩٠١م وثانية في فبراير سنة ١٩٠٢م وثالثة في يوليو سنة ١٩٠٣م، وفي كل مرة كان يعرض على السلطان أكثر من المرة التي تسبقها إلى أن صارت عروضه كالآتى:

١- تسديد ديون تركيا.

---

(١) انظر: أسرار الانقلاب العثماني ص (٧) والأفعي اليهودية ص (٨٤).

٢ـ تطوير تركيا صناعيًا وتجاريًا وماليًا من خلال بنوك أوروبا التي يملكها اليهود.

٣ـ إنشاء خطوط السكك الحديدية للدولة، وبناء السفن عابرة القارات.

٤ـ القيام بحملة صحفية عالمية تدافع عن السلطان وسياسته في مواجهة الدول الأوربية.

٥ـ إنشاء جامعة عصرية تعلم الشباب التركي العلوم الحديثة بدلاً من ذهابهم إلى أوربا.

٦ـ الوقوف إلى جانب تركيا في خلافاتها مع المسيحيين في داخل دولة الخلافة وخارجها.

٧ـ أن يأخذ السلطان هدية مالية قدرها مائة مليون جنيهًا ذهبًا.

هذه جملة عروضه على السلطان.

أما المقابل أن يسمح الخليفة «**لهرتزل**» بإنشاء شركة يهودية تشتري الأراضي غير المزروعة في فلسطين وتتولى هذه الشركة زراعتها وتوطين اليهود فيها»[١].

ماذا كان رد السلطان عبد الحميد على مطالب هرتزل؟ لقد أمر بطرده وأسمعه ما لا يحب أن يسمعه يهودي، قال السلطان عبد الحميد: «**لا أملك هذا، فلسطين ليست ملكًا للأتراك، بل ملك للعرب، وبيت المقدس ليس ملكًا للعرب بل ملك للمسلمين**»[٢].

ثم أردف قائلاً: «**إن الإمبراطورية التركية ليست ملكًا لي، فليس في استطاعتي والحال كذلك أن أهب أحدًا أي جزء فيها، فليحتفظ اليهود ببلايينهم في جيوبهم فإذا قسمت الإمبراطورية يومًا فقد يحصلون على فلسطين بلا مقابل ولكن التقسيم لن يتم**

(١) انظر الماسونية (٢٣٣ ـ ٢٣٤).
(٢) نفسه ص (٢٣٤).

إلا على أجسادنا»[١].

ثم يتساءل السلطان «**لماذا نترك القدس؟ إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك من مدننا المقدسة**»[٢].

ثم يخلص بذكاء حاد، وبصيرة نافذة لما وراء مطلب هرتزل بإنشاء شركة يهودية لاستصلاح الأراضي ويبين المطامع الحقيقية لليهود في أرض فلسطين.. يقول: «**لا يريد الصهيونيون الاشتغال بالزراعة فقط في فلسطين، بل إنهم يريدون إنشاء حكومة لهم وانتخاب ممثلين سياسيين وإني أفهم جيدًا معنى تصوراتهم الطامعة هذه، وإنهم لسذج إذ تصوروا أني سأقبل محاولاتهم هذه. إن «هرتزل» يريد** أرضًا لإخوانه في الدين لكن الذكاء ليس كافيًا لحل كل شيء»[٣].

ويصف قبوله للعرض الذى قدمه «هرتزل» بقوله «**نكون قد وقعنا قرارًا بالموت على إخواننا في الدين**»[٤].

ولعل القارئ يستشعر مدى الحمية الإسلامية والحرص على البلاد والعباد من قبل السلطان، وإذا كان السلطان قد رفض توقيع هذا القرار في تركيا من مائة عام ويزيد، فإن البعض الآن ممن تولوا أمور المسلمين يوقعون هذا القرار وأسوأ منه، بل ويلحون على اليهود أن يقبلوا ما رفض إعطاؤه لهم خليفة المسلمين ودفع ثمن هذه التضحية حريته وسلطانه.. وفي حقيقة الأمر إن كل من يعطي اليهود الحق في شبر واحد من أرض فلسطين ويدعو إلى ذلك، أو يتفاوض على هذا الأساس، فهو يوقع قرارًا بالموت أو الطرد لإخوانه في العقيدة والوطن.

ويبدو أن محاولات «هرتزل» لم تتوقف. فقد طلب مقابلة السلطان عبد

---

(١) الماسونية ص (٢٣٤).
(٢) نفسه.
(٣) نفسه ص (٢٣٥).
(٤) نفسه.

الحميد بعد ذلك، ولكنه رفض أن يقابله وأرسل السلطان مع أحد أصدقاء «هرتزل» ويدعى «نيولنسكي» ما نصه قال السلطان لي: إذا كان «هرتزل» صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبدًا في هذا الأمر لا أقدر أن أبيع ولو قدمًا واحدًا من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا»[١].

ويبدو أن اليهود وعلى رأسهم «هرتزل» قد يئسوا من أخذ شيء من أرض فلسطين عن طريق السلطان «عبد الحميد» فقد قدم «هرتزل» تقريرًا لمؤتمر يهودي بعد مؤتمر «بال» قال فيه:

«أقرر على ضوء حديثي مع السلطان أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية بدخولها في حرب أو وقوعها في مشاكل دولية، وأعتقد أنه لابد من كسب عطف الحكومة الإنجليزية على المسألة الصهيونية»[٢].

وبالفعل حرك اليهود عملاءهم وأوقعوا دولة الخلافة في كثير من المشاكل الداخلية والخارجية والتي انتهت بسقوطها على يد أحد أبناء يهود الدونمة وهو **«مصطفى كمال أتاتورك»**.

وبعد تقسيم العالم الإسلامي بين إنجلترا وفرنسا فيما عرف بمعاهدة «سايكس بيكو» التي بمقتضاها وقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني وصدر وعد بلفور المشئوم ووقع ما كان يخشاه السلطان عبد الحميد حين قال «لهرتزل» إذا تم تقسيم الإمبراطورية فستحصلون على فلسطين بدون ثمن، وأصبح لليهود كيان فيها بعد أن عجز اليهود عن مجرد إنشاء شركة فيها وهي في ظل الخلافة الإسلامية[٣].

---

(١) مقدمة حكومة العالم الخفية: أحمد راتب عرموس ص (٢٠ - ٢١).
(٢) انظر أسرار الانقلاب العثماني ص (٢٦) بتصرف يسير.
(٣) سقوط الدولة العثمانية وأثرها على الدولة الإسلامية ص (٨٧).